BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum
(DF)

تجديد الخطاب الديني

جابر عصفور:

ضيفنا هذا المساء لا يحتاج إلى تعريف ولا يحتاج أيضا إلى تقديم في تقديري لأنه بأفعاله وعلمه قبل أن يكون بمنصبه يعد نموذجا من النماذج المضيئة في الفكر الديني المعاصر، وأذكر أن أبا عثمان الجاحظ قال ذات مرة في وصف المتكلمين "إن المتكلم لا يكون جامعا لفنون الكلام إلا إذا كان ما يحسنه من كلام الدين في وزن ما يحسنه من كلام الفلسفة"، ولا أظن أن هذا القول ينطبق على كثيرين في هذا الزمان بل ينطبق على قليلين جدا من الندرة التي جمعت – بجانب التقاليد العقلانية الأصيلة في انتسابها للإسلام – المعرفة في الفكر والمعرفة بعلوم العصر وفلسفاته. وإذا كنا نتحدث عن مدرسة في الاستنارة نشأت في الأزهر الشريف، وتواصلت بالإمام محمد عبده ولا تزال مستمرة، فإن هذه المدرسة يفخر كل مسلم بالانتساب إليها بأصالة علمها وسعة أفقها وعمق وعيها بعصرها وقدرتها على أن تجمع بين القديم والجديد مع درجة عالية من التطور والمرونة والتسامح، وأنا أؤكد على كلمة التسامح في هذا المقام لأنني من أولئك المسلمين الذين يعتزون كثيرا بما نسب إلى الإمام مالك أنه قال "إذا ورد قول من قائل يحتمل الكفر من 99 وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمل على الإيمان ولم يحمل على الكفر". ولمثل هذه التقاليد السمحة النبيلة ينتسب الإنسان ويشرف بالانتساب ويفخر، وأظن أن هذه التقاليد لو استمرت ولو سادت لكانت صورة الإسلام في العالم اليوم غير ما هي عليه.

صحيح بالطبع أن الإسلام يهاجَم من أعدائه في كل مكان في العالم الغربي، لكن الصحيح أيضا أن من بين المسلمين من أساءوا للإسلام بتعصبهم وضيق أفقهم الذي أوصل الكثيرين إلى التطرف ثم إلى الإرهاب.

ولحسن الحظ فإنه لا يزال لدينا من الباحثين ومن المفكرين القلائل بالطبع من يضيئون بفهمهم ما حولهم من البشر ومن المؤسسات ومن الهيئات، وأنا شخصيا يسعدني أن يكون ضيف منتدى الحوار واحدا من أبرز هؤلاء، فأنا ممن يقدرون الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق العالم والمفكر قبل أن يكون وزيرا وبعد أن أصبح وزيرا لأن المناصب بالتأكيد ليست مستمرة، والمستمر والمحترم دائما هو العلم الذي يزهو به صاحبه والمعرفة التي تضيف إلى قدر صاحبها. ومحدثنا اليوم رجل زانه علمه وأضافت إليه معرفته ما فرض احترامه وتقديره على الجميع، ولذلك يسعدني ويشرفني أن أقدم إليكم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق ليحدثنا هذه الليلة.

محمود حمدي زقزوق :

تمهيـــد :

القضية التي نود أن نتحدث فيها معكم اليوم هي قضية تجديد الخطاب الديني . ولن يكون حديثي في هذا الموضوع محاضرة بالمعنى الأكاديمي ، ولكنه حديث من القلب أرجو أن يصل إلى القلوب أيضا حتى يمكن لنا أن نتفهم هذه القضية التي تعد من القضايا المحورية في مجتمعنا المصري بصفة خاصة وفي المجتمع الإسلامي بصفة عامة .

ومن نافلة القول أن نؤكد أن الدين يشغل في نفوسنا نحن المصريين عمقا عميقا منذ قدماء المصريين .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

فمن يتأمل ما تركه لنا أجدادنا المصريون القدماء يجد أن كل شيء يرمز إلى معنى ديني ، وقد ظل هذا العمق العميق في نفوس المصريين حتى يومنا هذا ، المسلمين منهم والمسيحيين على السواء . فالكلمة التي تصدر باسم الدين أو ممن يتصدى للحديث عن الدين يكون لها تأثير في النفوس وبخاصة إذا كان المتحدث صاحب قبول لدى السامعين ، ومن هنا ندعو دائما إلى أن تكون هذه الكلمة سليمة وهادفة ومنطلقة من أساس صحيح حتى تُحدث الأثر الإيجابي المطلوب ، بعيدا عن أي آثار سلبية قد تكون في غير مصلحة المجتمع .

إن الإسلام يُعد دينا للحياة بجميع أبعادها المختلفة ، وقد جاء لمصلحة المجتمع ولسعادة الإنسان في دنياه وأخراه ، فينبغي علينا أن نحرص على أن نرشد الكلمة التي تصدر من الذين يمثلون الدين حتى يمكن أن تصل إلى الهدف الذي نبتغيه جميعا وهو تطوير المجتمع وتقدمه والوصول به إلى أرقى المستويات .

ومن الواضح أن عالمنا المعاصر يشهد تطورا مذهلا في كل مجالات الحياة في المجتمعات المتقدمة وبخاصة المجتمعات الغربية . وفي الوقت نفسه ، لا نشهد ــ للأسف الشديد ــ مثل هذا التقدم والتطور في عالمنا الإسلامي . ولذلك ينسب كثيرون من الذين ينتقدون الإسلام في العالم الغربي هذا التخلف ــ الذي يخيم على العالم الإسلامي ــ إلى الإسلام ذاته . والواقع أن الإسلام برئ من هذه التهمة التي لا تستند إلى أي أساس من مصادر الإسلام الأساسية .

وأذكر في هذا الصدد عبارة قالها المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي : " إن التخلف الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم ليس سببه الإسلام . ولكنه عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين " .

فالآيات الأولى من الوحي الإلهي على محمد صلى الله عليه وسلم اشتملت على الأمر بالقراءة والإشادة بالعلم في قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ،

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ .

والأمر الجدير بالتأمل هنا هو أن هذه الآيات الأولى لا تتحدث عن العبادة ولا عن العقائد وتفصيلاتها ، ولكن تتحدث عن القراءة مرتين ، وعن الإنسان نفسه مرتين وعن العلم الذي يحمله ، وعن القلم الذي هو وسيلة تدوين العلم ، الأمر الذي يدل على أن الإنسان في الإسلام له رسالة حضارية سوف نتحدث عنها فيما بعد . والرسول عليه الصلاة والسلام كان يفرج عن الأسير من أسرى غزوة بدر إذا قام بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .

واليوم تقول الإحصاءات التي قامت بها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) إن هناك 46ر5% من أبناء العالم الإسلامي أميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وهنا المفارقة الغريبة . فالنبي صلى الله عليه وسلم قد فتح بابا لمحو الأمية من أول لحظة ، أما اليوم فإن ما يقرب من نصف الأمة الإسلامية أميون لا يقرأون ولا يكتبون .

الخطاب الدينـــي :

إن الحديث عن تجديد الخطاب الديني يرتبط ارتباطا وثيقا بتجديد الفكر الديني بصفة خاصة وبتجديد الفكر بصفة عامة ، ولذلك لا مجال للحديث عن تجديد الخطاب الديني دون ربطه بتجديد الفكر الديني .

فالخطاب الديني ينبني على الفكر الديني السائد في المجتمع ، فإذا كان الفكر الديني سليما ، فسيكون الخطاب الديني أيضا إيجابيا وبناء وهادفا ، أما إذا لم يكن الفكر الديني كذلك فسوف ينعكس بالسلب على الخطاب الديني .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ومن ناحية أخرى فإن تجديد الخطاب الديني مرتبط بحقوق الإنسان ــ وهذا أمر قلما يخطر على البال ــ فالإنسان من حقه توعية دينية سليمة تحرك العقل وتنشط الذهن والفكر وتدفع الإنسان للعمل والإنتاج والإسهام في تطوير الحياة .

دور العقــل :

ومن الملاحظات المبدئية الجوهرية أيضا ، أن تجديد الفكر الديني بصفة خاصة وتجديد الخطاب الديني بصفة أخص مرتبطان ارتباطا وثيقا بتمكين العقل من القيام بدوره كاملا في الحياة ، وهذا كلام لا أقوله من عندي ، ولكنه ثابت في القرآن الكريم وفي السُنّة النبوية الصحيحة وسأشير إلى ذلك فيما يأتي :

يعتبر الإسلام عدم استخدام الإنسان للعقل الإنساني تنازلا من الإنسان عن إنسانيته ، بمعنى أن الذي لا يستخدم عقله وفكره يعتبر إنسانا قد تنازل عن إنسانيته . والآية القرآنية في هذا الصدد واضحة وضوح الشمس في وسط النهار : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾ يعنى لهم عقول لا يستخدمونها ﴿ **ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها** ﴾ . وهذا يعنى أن لديهم وسائل الإدراك الحسية والعقلية ولكنهم لا يستخدمونها إطلاقا أو لا يستخدمونها الاستخدام الأمثل . وتقول الآية عقب ذلك : ﴿ **أولئك كالأنعام** ﴾ يعني كالحيوانات ، ولو كانت الآية قد وقفت عند هذا الحد فقط لكان في ذلك ظلم للأنعام لأنها لا تعقل بطبيعتها ، ولذلك جاء في تكملة الآية : ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل** ﴾ فهم أُناس قد تنازلوا عن إنسانيتهم وارتضوا لأنفسهم مرتبة أحط من مرتبة الحيوانات ، لأنهم لم يستخدموا عقولهم .

ومن ناحية أخرى يعتبر القرآن الكريم عدم استخدام العقل الإنساني من أعظم الذنوب والخطايا التي يقع فيها الإنسان ، وفي ذلك يقول القرآن حكاية عن الكافرين يوم القيامة حينما يجدون مصيرهم المحتوم : ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم** ﴾ ، والمعنى واضح تماما . فهذا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الذنب الذي يعترفون به يتمثل في أنهم لم يستمعوا إلى ما يقال لهم ولم يعقلوه ولم يتفهموه ، أى أنهم لم يستخدموا عقولهم ، وهذا من أعظم الذنوب التي يؤكد عليها القرآن الكريم .

ويتضح لنا مدى اهتمام الإسلام بالعقل الإنساني وحمايته في جعله حماية العقل من بين المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية . وهذه المقاصد هي : حفظ النفس ــ بمعنى حماية النفس ــ والعقل والدين والمال والنسل ، فهذه تعتبر قواعد أساسية وهى منطلق لكل حقوق الإنسان الفرعية الأخرى .

وليس هذا فقط ، بل يعتبر الإسلام أن العقل الإنساني يُعد من المسئوليات الأساسية التي سوف يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة ، والآية هنا تقول : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد** ﴾ ــ وهذا تعبير عن العقل ــ ﴿ **كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ ، ومن ذلك كله يتضح لنا بجلاء أن العقل الإنساني له دور كبير جدا في الإسلام ، وبالتالي فإن تمكين العقل من أداء دوره في الحياة يعتبر مطلبا دينيا قرآنيا لا يجوز التخلي عنه بأي حال من الأحول .

وإذا كان الأمر كذلك ، فينبغي أن " يحكّم العقل كما يحكّم الدين " كما يقول الشيخ محمد عبده . ونظرا لاهتمام الدين بالعقل الإنساني وضرورة تمكينه من أداء دوره ، كان لابد أن تكون هناك ضمانات لإزالة العقبات التي تقف أمام العقل الإنساني حتى يستطيع أداء دوره كاملا في الحياة ، ولذلك وجدنا القرآن الكريم يرفض رفضا قاطعا التقليد الأعمى الذي يُعد إلغاء للعقل الإنساني . وقد كان هذا الموقف واضحا منذ بدء الرسالة المحمدية .

فعندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلن لأهل مكة رسالته الجديدة وأنه مرسل من عند الله ، جمع زعماءهم ووجه إليهم سؤالا مبدئيا يتعلق بالحياة والموت وبقضية الحرب والسلام ــ وكان النبي مشهورا لديهم بأنه الصادق الأمين ــ قال لهم : (لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ ؟) .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ومن المعروف أنه كثيرا ما كان يحدث أن تغير بعض القبائل على البعض الآخر، وهذا يعنى هلاك الحرث والنسل ، وتفشى النهب والسلب إلى آخره ، ومن هنا كانت أهمية هذا السؤال . وقد رد الجميع ــ إجابة على هذا السؤال ــ بقولهم : (نعم ــ نصدقك ــ ما جربنا عليك كذبا قط) وبعد أن انتزع النبي منهم هذا الاعتراف ــ وهو حق ــ قال لهم : (إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة) .

وهنا بدأوا يسخرون منه ويقول له البعض (تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ " حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا " وهنا يسأل القرآن ﴿ **أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟** ﴾ يعني هل فكرتم في هذه القضية ؟ صحيح أنكم تريدون ما وجدتم عليه آباءكم ، لكن هل طرحتم على أنفسكم السؤال عما إذا كان آباؤكم على حق أم لا ؟ لا ، لم تفكروا في شيء من ذلك على الإطلاق . فالقضية التي يتمسكون بها إذن هي التقليد الأعمى الذي يرفضه الإسلام رفضا قاطعا ، ولذلك جاء حديث النبي واضحا (**لا تكونوا إمعة ــ أي لا تكونوا مقلدين للآخرين تقليدا أعمى ــ تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن أساءوا أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا**) .

إن الإسلام يرفض التقليد لأن التقليد عدو العقل الإنساني ، كما يرفض الإسلام الفكر الخرافي والدجل والشعوذات التي تجد لها سوقا رائجة في غيبة العقل . ومن بين الأمثلة الكثيرة في هذا الصدد أنه تصادف أن حدث كسوف للشمس عندما مات إبراهيم ــ ابن النبي عليه الصلاة والسلام ــ فقال بعض الصحابة بحسن نية : (لقد كسفت الشمس مشاركة في الحزن على موت إبراهيم) ــ وهذه خرافة بطبيعة الحال . وعلى الرغم من شدة حزن النبي على ابنه فإنه لم يترك هذه الخرافة تمر مرور الكرام ، وقال في حسم قاطع : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان ولا يخسفان لموت أحد ولا لحياة أحد) .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

إن الإسلام لا يقر الخرافة ولا الشعوذات ، وعلى الرغم من وضوح الموقف الإسلامي من ذلك فإن هناك بعض الناس حتى اليوم يسيرون وراء الخرافات ، ومنهم من يستولى على أموال السذج من الناس بإنشاء عيادات للمداواة بالقرآن الكريم . والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم زار أحد الصحابة ــ وكان مريضا ــ فأوصاه بأن يذهب إلى الحارث بن كلده " فإنه رجل يتطبب " يعني لديه خبرة ومعرفة في الطب ، ولم يكتف النبي بقراءة بعض آيات من القرآن الكريم . فكل شيء له سبب، وبالتالي فإن علينا أن نأتي البيوت من أبوابها ونلجأ إلى أصحاب الخبرة والمعرفة .

وحرصا من الإسلام على تأكيد دور العقل الإنساني وإزالة العقبات من طريقه ، نجده يؤكد على المسئولية الفردية ، فكل إنسان مسئول عما يفعله فقط ، فالقرآن الكريم يقول : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ ، ويقول أيضا : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ ، وذلك حتى يحرر العقل من أن ينوء كاهله بأعباء أمور فعلها غيره ، وهو ليس مسئولا عنها . كما أكد الإسلام الكرامة والعزة للفرد حتى يتحرر من عقدة الخوف . يقول القرآن الكريم في ذلك : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ ، ويقول: ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ إذن فلا يوجد هناك مبرر للخوف .

وقد أراد الإسلام برفض التقليد والخرافة وتأكيد المسئولية الفردية وكرامة الإنسان أن يحرر عقل الإنسان من كل القيود التي تعطل دوره في الحياة .

وقد اهتمت الفلسفة الإسلامية اهتماما كبيرا بالعقل الإنساني وضرورة تفعيل دوره الكامل في الحياة ، كما أكدت تأكيدا واضحا على أن العقل الإنساني لا يمكن أن يتصادم مع الدين .

وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف العظيم ابن رشد : (الحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة) فلا يوجد تناقض بين الحكمة ــ التي تمثل خلاصة عمل العقل الإنساني ــ وبين الشريعة .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وكان الإمام الغزالي صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) يقول : (العقل كالأساس والشرع كالبناء ولن يغني أساس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس ، فالعقل شرع من داخل ، والشرع عقل من خارج ، وهما متعاضدان بل متحدان) .

ويزيد الغزالي ذلك تأكيدا ووضوحا بقوله : " فالداعي إلى محض التقليد (في الأمور الدينية) مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور " . وكان يقول أيضا : " العقل أنموذج من نور الله " . وكان الجاحظ يقول : " العقل وكيل الله عند الإنسان " . وكان الشيخ محمد عبده يقول : " إن العقل يجب أن يحكّم كما يحكّم الدين ، فالدين عرف بالعقل ، ولابد من اجتهاد يعتمد علي الدين والعقل معا " .

التجديد في التصور الإسلامي :

وهنا نأتي للحديث عن التصور الإسلامي للتجديد ، فالتجديد فكرة قديمة في الإسلام منذ كان الإسلام وحتى الآن ، أى منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان . والتجديد في الإسلام مبني علي حديث للرسول صلي الله عليه وسلم يقول فيه : **(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)** ، وهنا نجد أن النبي نفسه قد استخدم مصطلح التجديد . والبعض في أيامنا هذه يزعمون أننا عندما نتحدث اليوم عن تجديد الخطاب الديني فإن ذلك يعد تنفيذا لتعليمات أمريكية . وهذا هو الحديث النبوي الصحيح الذي استخدم فيه النبي مصطلح التجديد ، فليس هذا الأمر مستحدثا ، فالتجديد فكرة إسلامية أصيلة .

والتجديد في الإسلام مرتبط ارتباطا وثيقا بآلية لهذا التجديد وهي الاجتهاد ، وهذا الاجتهاد أيضا ثابت منذ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل حينما أرسله إلي اليمن وسأله كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بكتاب الله ، قال له فإن لم تجد ؟ قال فبسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي ولا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

آلوا ــ أي لا أقصر ــ " فيرد النبي قائلا له : الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله ورسوله . فهذا هو مبدأ الاجتهاد الذي يعني بذل الجهد واستخدام العقل للتوصل إلى الحلول الإسلامية لكل المستجدات .

والذي فتح باب الاجتهاد هو رسول الله بنفسه الذين أتى بالشريعة ، وليس من حق أحد أيا كان أن يغلقه بعد ذلك على الإطلاق . فالتجديد مرتبط بالاجتهاد ، ولذلك كان المفكر والفيلسوف الإسلامي محمد إقبال يقول : " إن الاجتهاد هو مبدأ الحركة في الإسلام " ، فالفكر لابد أن يتحرك ، ومن هنا لابد أن تكون هناك آلية لهذا التجديد المتواصل والمستمر ، وكانت هذه الآلية الإسلامية هي الاجتهاد .

وقد فسر العلماء السابقون حديث النبي صلي الله عليه وسلم في التجديد بأنه إحياء السنة والقضاء على البدعة أو نحو ذلك . وهذا يعني إزالة ما تراكم على الدين من عادات وتقاليد وأعراف مختلفة ليست من الدين في شيء ، فالمطلوب إزالة ذلك كله حتى تظهر صفحة الدين جلية واضحة ، وذلك كالمرأة مثلا إذا تراكمت عليها الأتربة لا يستطيع الإنسان أن يرى صورته فيها ، فحتى نجددها يجب أن نزيل الأتربة عن هذه المرآة حتى يمكن أن نرى الصورة واضحة جلية ، وكان ذلك فهم السابقين للتجديد .

ولذلك وجدنا أن مصطلح الإحياء هو الذي كان سائدا ، وهذا ما جعل الغزالي منذ أكثر من تسعمائة سنة يطلق على أهم كتبه الدينية اسم " إحياء علوم الدين " .

لكن الإسلام لم يكن يريد بالتجديد مجرد إزالة المفاهيم الخاطئة ، وإنما كان يريد أكثر من ذلك . إنه يريد فكرا إبداعيا خلاقا ، ولذلك كان مبدأ الاجتهاد ، الذي يعني إعمال الفكر في البحث عن حلول جديدة . ومن هنا نقول إن القضية ليست فقط مجرد إحياء السنة وإماتة البدعة . فالتجديد في الإسلام أعم من ذلك وأشمل .

ولتشجيع المسلمين على الاجتهاد جعل الإسلام للمجتهد الذي يجتهد ويخطئ أجرا على اجتهاده . ولعل ذلك يبدو أمرا غريبا . ولكن يكفي أنه اجتهد وبذل أقصى ما في

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وسعه ومن هنا فهو مأجور على اجتهاده ، أما الذي يجتهد ويصيب فإن له أجرين . وفي فترة التراجع الحضاري للأمة الإسلامية أغلق الفقهاء باب الاجتهاد ، فتخلف الفكر وجمد وشاعت مقولات متخلفة مثل : " لم يترك الأول للآخر شيئا " ، و " ليس في الإمكان أبدع مما كان " .

وهذا فهم خاطئ لأن باب الاجتهاد فتحه النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة ، وليس من حق أحد أيا كان أن يغلقه ، فهو حقيقة ثابتة إلى آخر الزمان . ولقد تحدثت مع أحد شيوخنا الكبار منذ حوالي خمسة عشر عاما في قضايا كثيرة جديدة تحتاج إلى اجتهاد جديد وقلت : لقد كان الذين اجتهدوا في السابق ــ كما يقال أيضا ــ رجال ونحن رجال ، لهم عقول ولنا عقول ، فلماذا لا نتحرك نحن ونحاول أن يكون لنا وجهة نظر في القضايا المستجدة ، وبخاصة أننا نملك اليوم إمكانات أكثر منهم ، فقد كان الواحد منهم إذا أراد معرفة معلومة معينة ، يسافر على الجمال أسابيع وشهورا ، ويتحمل مشقة كبيرة في الحصول عليها ، أما نحن فإن لدينا الآن وسائل اتصال متطورة ، ولدينا الإنترنت ومن خلاله يمكننا التعرف على كل ما نريد معرفته بسهولة ويسر .

إننا نملك إمكانات رهيبة لم تكن موجودة على الإطلاق ، وبالتالي لدينا الفرصة السانحة لأن نجتهد ونعمل عقولنا ونبحث وننقب حتى يمكن لنا أن نصل إلى فكر جديد يكون قادرا على حل مشكلاتنا والنهوض بمجتمعاتنا . وقد كان رد الشيخ الكبير على ذلك بقوله : عندما نصل إلى مرتبة السابقين يكون من حقنا أن نجتهد ، وهذا ما لم نبلغه بعد . ولكن الشيخ محمد عبده يؤكد أن " اللاحق له من علم الأحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل إليه من آثارها في الكون ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه " .

إن غلق باب الاجتهاد ضد طبيعة الحياة المتجددة دوما ، فالتجديد سنة الحياة وقانون الوجود ، وكل شيء يتجدد من حولنا ، حتى خلايا الجسم تتجدد ، فكل

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

عشر سنوات تقريبا تتجدد خلايا الجسم عدا خلايا المخ بطبيعة الحال ، كما يقول أصحاب الاختصاص .

الشيخ محمد عبده وإصلاح الفكر الديني :

لقد كان الشيخ محمد عبده من القمم التي نعتز بها ، وقد أمضى حياته كلها في إصلاح الفكر الديني ، وفي هذا الصدد ينبهنا الشيخ محمد عبده إلى أن هناك عقبات تقف في طريق الإصلاح الديني ، وهذه العقبات تتمثل في التقليد والمصادر السيئة للتثقيف . وكان يعيب على الفقهاء إذا أراد أحدهم استنباط حكم شرعي لأمر من الأمور المستحدثة يسارع في البحث عن ذلك في الكتب القديمة . وقد وصل الأمر بالفقهاء إلى اعتبار كتبهم أساس الدين . وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده : " لقد جعل الفقهاء كتبهم هذه ، على علاتها ، أساس الدين ، ولم يخجلوا من قولهم : إنه يجب العمل بما فيها وإن عارض الكتاب والسنة . فانصرفت الأذهان عن القرآن والحديث ، وانحصرت أنظارهم في كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلاف في الآراء والركاكة " .

إن هناك قضايا حديثة لم يعرفها الفقهاء قديما وبالتالي فالحلول التي ينبغي البحث عنها ستكون مختلفة عن الحلول التي توصل إليها السابقون ، ومن أقرب القضايا لذلك قضايا البنوك ، وهى معاملات حديثة لم يعرفها الفقهاء السابقون على الإطلاق ، ومن هنا فهي في حاجة إلى فكر جديد واجتهاد جديد ، وغير ذلك من أمور كثيرة في عالمنا المعاصر .

ويذهب الشيخ محمد عبده إلى القول بأن التقليد من العقبات الكبرى التي تقف في طريق إصلاح الفكر الديني ، ويدعو إلى " أن يحكّم العقل كما يحكّم الدين " ، وأن يأخذ العقل الإنساني دوره كاملا في الحياة ، وهو ما أشرت إليه من ضرورة تمكين العقل الإنساني من القيام بوظيفته على الوجه الأكمل ، كما أشار الشيخ إلى المصادر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

السيئة للتثقيف بوصفها من العقبات التي تشل حركة العقل الإنساني وتشل فاعليته وبالتالي تجعله عاجزا عن أداء دوره المنوط به في الحياة .

وما حذر منه الشيخ محمد عبده لا يزال قائما بيننا حتى الآن بعد مرور قرن من الزمان على وفاته . فلا تزال بعض الكتب ــ التي تُعد من المصادر السيئة للتثقيف ــ تجد لها باسم الدين سوقا رائجة في أيامنا ، ولا هدف لها إلا شل فاعلية العقل الإنساني . ومن هنا يمكن القول بأننا لا نزال في حاجة إلى فكر الشيخ محمد عبده لإصلاح الفكر الديني .

أولويات الخطاب الديني :

هناك نقطتان هامتان ركز عليهما الإسلام ولم يجدا لهما مكانا في الخطاب الديني ، النقطة الأولى هي الدور الحضاري للإنسان ، فعندما أراد الله أن يهبط آدم إلى الأرض سلحه بالعلم ، الذي يستطيع من خلاله أن يعمر الكون بشتى أنواع التعمير المادي والروحي . واهتمام الإسلام بالعلم بمعناه الشامل لا حد له . وعندما أوصى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتوجه إليه بالدعاء بدعوة خاصة قال له ــ كما جاء في القرآن الكريم : **﴿ وقل ربِّ زدني علما ﴾** . وبذلك يلفت نظرنا إلى أهمية الدور الحضاري للإنسان في هذه الدنيا من خلال العلم.

ويتضح لنا الأمر الإلهي بإعمار الكون وصنع الحضارة فيه من الآية الكريمة : **﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾** ، وكما تعلمنا في اللغة العربية أن الكلمة الثلاثية إذا دخل عليها الألف والسين والتاء تعني الطلب فكلمة " عَمَرَ " إذا دخل عليها الألف والسين والتاء تعني طلب العمران مثل " غفر " و " استغفر " أى طلب المغفرة . وإذا كان الأمر صادرا من الله سبحانه وتعالى ــ كما تشير الآية السابقة ــ فإن ذلك يعني أن هذا الطلب لا يقل شأنا عن الصلاة والصوم والزكاة والحج ، فهو فريضة . ومن هنا نقول : إن إعمار الكون وصنع الحضارة فيه يُعد فريضة إسلامية .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

فالحضارة لا تقوم إلا بالعلم ، والعلم في الإسلام ــ كما هو معروف من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ــ يُعد فريضة على كل مسلم ومسلمة . ومادامت الحضارة لا تقوم إلا بالعلم فإنها تُعد أيضا فريضة إسلامية . وعلى الخطاب الديني أن يبرز ذلك بوضوح حتى يتحرك العالم الإسلامي لتحقيق هذا الهدف ــ كما صنع أسلافنا في السابق ــ .

النقطة الثانية تتمثل في الأساس الإنساني في العلاقات بين الأمم والشعوب ، بمعنى أننا نحن المسلمين لا يجوز لنا أن نتصور أننا محور هذا الكون ، فهناك شعوب أخرى تعيش معنا في هذا الكون ، يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل** ــ [يعني مختلفين] ــ **لتعارفوا** ﴾ . وفي ذلك تنبيه وتأكيد على أن الأساس الذي ينبغي أن يبرز دائما ويترسخ في أذهان الناس في علاقاتهم فيما بينهم هو الأساس الإنساني الذي يجمع كل الأمم والشعوب في إطار واحد : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ فالجميع مخلوقون من نفس واحدة ، فهناك إذن أساس واحد يربط كل هذه الأمم والشعوب برباط واحد هو رباط الإنسانية ، وهذا هو الذي ينبغي أن يعرفه الجميع .

والمطلوب من الخطاب الديني أن يوجه اهتمامه إلى هاتين النقطتين ، وإبراز إنسانية الإسلام في تعاليمه وتشريعاته . فهو دين للإنسان ومن أجل خير الإنسان في كل زمان ومكان .

التجديد في تاريخ الفكر الإسلامي :

وإذا انتقلنا إلي التجديد في التطبيق العملي للمذاهب الإسلامية نجد في مقدمة المجددين الإمام الشافعي (150ــ204هـ = 767ــ820م) وهو مؤسس علم أصول الفقه في كتابه (الرسالة) الذي اعتبره الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه القيم

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

(تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) فرعا من فروع الفلسفة . فقد ابتكر الإمام الشافعي هذا العلم على غير مثال سباق ، فكان بذلك مجتهدا ومبدعا ومجددا . ومع ذلك كان في تواضعه الجم يقول : (رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب) أي أنه لم يدع لنفسه الحق المطلق في امتلاك الحقيقة .

وكان الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (80ــ150هـ = 699ــ767م) يقول : (رأينا هذا هو أفضل ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأفضل منه قبلناه منه) وهذا يدل على أنه ليس هناك تفخيم للذات ولكن هناك تواضع منقطع النظير . وهذا هو شأن الأفذاذ الذين يعرفون قدر أنفسهم ويعرفون في الوقت نفسه أقدار الآخرين .

وكانت للإمام الشافعي آراءٌ فقهية في العراق ، وحينما انتقل إلى مصر بدأ يعيد النظر في فتاواه لأنه وجد في مصر أعرافا مختلفة عما وجده في العراق ، الأمر الذي دعاه إلى ضرورة مراعاة ذلك . ومنذ بدأ النقل عنه حتى يومنا هذا يقال: مذهبه في القديم ، أي عندما كان في العراق ، ومذهبه في الجديد ، أي بعد أن انتقل إلى مصر .

أما الإمام مالك فهو صاحب القول الذي أشار إليه الدكتور جابر عصفور في البداية (إذا كان الرأي يحتمل الكفر من 99 وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان وليس على الكفر) ، وينقل الإمام محمد عبده هذا أيضا بطريقة أخرى قائلا : (لقد اشتهر بين المسلمين أنه إذا كان الرأي يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان وليس على الكفر) ويُعد ذلك قمة التسامح في الحضارة الإسلامية .

إن فكرة التجديد لم تنقطع في حقيقة الأمر في تاريخ الفكر الإسلامي ، بل ظلت متواصلة . ولذلك وجدنا الإمام السيوطي (849ــ911هـ = 1445ــ1505م) يؤلف كتابا حول المجددين في الإسلام وعن التنبؤ بمن يبعثه الله على رأس كل مائة سنة ــ كما جاء في الحديث الشريف ــ ، وقام بإحصاء المجددين في كل قرن

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

حتى العصر الذي عاش فيه وجاء بعده من العلماء من سار على نفس الدرب . وفي القرن الماضي أصدر الشيخ أمين الخولي كتابه " **المجددون في الإسلام** " وتحدث فيه عن التجديد السابق وكان رحمة الله عليه يريد أن يكمل ذلك في جزء آخر ولكن القدر لم يمهله .

كما قام الشيخ عبد المتعال الصعيدي في القرن الماضي أيضا بتأليف كتاب كبير بعنوان " المجددون في الإسلام " أحصى فيه المجددين في تاريخ الفكر الإسلامي ، وهذا كله يدلنا على أن فكرة التجديد فكرة راسخة ومتواصلة ولم تنقطع في تاريخ الفكر الإسلامي .

ونظرا لأن الإسلام يُعد دينا للحياة بجميع جوانبها فإن أحكامه ينبغي أن تكون ملبية لكل جديد في الحياة ، وإلا سوف ينقلب الدين عدوا للمجتمع ، مع أن الدين أصلا أتى ليكون في مصلحة المجتمع . وتغليب مصلحة المجتمع أمر معروف ومستقر في التشريع الإسلامي ، ومن هنا دأب العلماء الثقات على القول :(حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله) ، وهذا يعني أن شرع الله لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يكون مناقضا لمصلحة المجتمع .

الخطاب الديني :

والخطاب الديني لا ينحصر فيما يُقال في المساجد من خطب ودروس دينية ، وإنما يشمل كل ما يُقال عن الدين في جميع وسائل الإعلام مسموعة أو مقروءة أو مرئية ، وغير ذلك من إصدارات أخرى حتى ما ينشر منها على شبكة الإنترنت . وللخطاب الديني بعدان ، بعدٌ محلي وبعدٌ عالمي ، ولكل بعد متطلبات لابد من مراعاتها ، وبصفة خاصة لابد أن يكون مواكبا لمتغيرات كل عصر .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ومن نافلة القول أن نؤكد أن الخطاب الديني الخارجي له مواصفات غير مواصفات الخطاب الديني الداخلي، وإن كان كلاهما يعتمد بالدرجة الأولى على تمكين العقل من أداء دوره كاملا في الحياة .

والسؤال الملح هنا هو : ما المراد بتجديد الخطاب الديني ؟ هل هو إعادة النظر في فهمنا للدين ؟ أم هو عملية إحياء لحركات الإصلاح الديني في تاريخنا قديما وحديثا ؟ أم المطلوب استحضار التيار التنويري لابن رشد أو الإصلاح الديني لمحمد عبده ؟ هل المراد بالخطاب الديني تفعيل دور العقل في الثقافة العربية الإسلامية ؟ وكيف يمكن تحرير العقل مما يشل فاعليته ، والتي حددها محمد عبده في التقليد والمصادر السيئة للتثقيف ؟ هذه المعاني كلها واردة ، ولكن السؤال الذي له ما يبرره أيضا هو : لماذا فشلت هذه الحركات في إنتاج العقلية الإسلامية النقدية ؟ والإجابة عن هذا السؤال تخرج عن إطار هذه المحاضرة وتحتاج إلى محاضرة مستقلة .

سلبيات الخطاب الديني المعاصر :

أ ــ القصور في فهم جوهر الدين :

وحتى يمكن لنا أن نقوم بتطوير الخطاب الديني ليكون ملبيا للمتطلبات الدينية والحياتية فلابد لنا من التعرف على سلبيات هذا الخطاب حتى نضع أيدينا على الخلل الذي جعل الخطاب الديني قاصرا عن الوفاء بالمتطلبات الضرورية .

لقد قلت في بداية حديثي إن الشريعة الإسلامية لها مقاصد خمسة هي: حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل ، وهذه أساسيات ينبغي أن تكون لها الأولوية . ولكن الخطاب الديني كثيرا ما يشغل نفسه بالشكليات والأمور الهامشية ، وينعكس ذلك بطبيعة الحال على سلوكيات الناس . ومن ذلك ــ على سبيل المثال ــ الاهتمام المفرط بالحديث عن اللحية وعن السواك وعن تقصير الثوب وغير ذلك من أمور لا صلة لها بجوهر الدين ، فما دام الشخص يلبس الجلباب الأبيض وله لحية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

طولها قبضة أو اثنتين ويضع الطاقية فوق رأسه فإنه بذلك يكون مسلما كامل الإسلام ! مع أن الحديث الشريف يقول (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .

وقد رأيت أحد الأساتذة ممن يقومون بتدريس علوم الدين في إحدى الجامعات يجلس القرفصاء عندما يشرب . فلما سألته : لِمَ تفعل ذلك ، قال : اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم . وهذا هو التدين الشكلي الذي يحصر اهتمامه في استيفاء الشكل بعيدا عن جوهر الدين .

إن ما ينبغي الاهتمام به في الخطاب الديني هو التركيز على جوهر الدين بوصفه عقيدة وشريعة وأخلاقا وحضارة ، والاهتمام بالقيم الإسلامية الدافعة لتقدم المجتمع وعلى رأسها العلم والعمل والإخلاص في العمل وإتقانه والنظام والنظافة وحماية المال العام والمحافظة على الوقت . فكل ذلك يدخل في إطار مسئوليات الإنسان التي سيحاسب عليها يوم القيامة .

والحديث الشريف في هذا الصدد يقول : (**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه وعن علمه ماذا عمل به ؟**) . فالإنسان مسئول عن كل شيء ، فهناك قيم ، وهذه القيم هي التي تعمل على تقدم المجتمع ، وهي التي ينبغي إبرازها للناس بدلا من شغلهم بالأمور الشكلية التي لا تفيد في نهضة ورقي المجتمع .

ومن بين العلماء الذين كانوا يحرصون على تفعيل هذه القيم العالم الدمشقي جمال الدين القاسمي (1866ــ1914) الذي كان يرفض قول بعض الفقهاء عندما لا يفهمون أمرا من أمور الشريعة : " إنه أمر تعبدي لا يعقل معناه " . وكان يعتبر ذلك حجرا على العقول والأفهام . فجميع أحكام الشريعة " معقولة المعنى " . وكان القاسمي يتحسر على أوقات الناس التي تضييع هباء بلا فائدة للفرد أو المجتمع ، وكان عندما

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

يمر بالمقاهي المكتظة بالناس الذين يتفننون في قتل الوقت يقول : " كم أتمنى أن يكون الوقت مما يباع لأشترى من هؤلاء جميعا أوقاتهم " لأنفقها فيما يفيد .

ب ــ الانفصال عن واقع الحياة :

في كثير من الأحيان يكون الخطاب الديني منفصلا عن واقع الناس والحياة ، وبذلك يكون الخطاب الديني في وادٍ والناس في وادٍ آخر ، وهنا نجد التركيز على أمور الآخرة وإغفال إعمار الدنيا بالعلم والعمل . والإسلام ليس للآخرة فقط فالقرآن يقول ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ ، وفي الأثر الإسلامي المعروف (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) ، والعمل من أجل الدنيا يكون حتى آخر لحظة في حياة الإنسان كما جاء في الحديث الشريف : (**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ــ أى شجيرة صغيرة ــ فليغرسها**) مع أنه عند قيام القيامة لن تكون هناك استفادة من هذه الفسيلة ، ولكن هذا رمز لاستمرار العمل حتى آخر لحظة في الحياة .

جـ ــ الميل إلى التشدد :

من الأمور الشائعة أيضا في الخطاب الديني الميل إلى التشديد على الناس في أمور دينهم . وظاهرة التشدد والغلو في الدين مرفوضة إسلاميا . وقد جاء في الحديث الشريف : (**الدين يسر لا عسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**) . ويؤكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على أن الإسلام دين يقوم على التيسير لا التعسير ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وعندما أدى النبي صلى الله عليه وسلم فريضة الحج كان الصحابة يسألونه عن مناسك الحج وعما فعلوه خشية أن يكون حجهم منقوصا أو باطلا ، فيسأل البعض : (لقد فعلت كذا قبل كذا) ، ويقول آخر : (لقد نسيت كذا أو كذا) . وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ــ الذي أرسله الله رحمة للعالمين ــ إجابة واحدة على كل الاستفسارات هي : (افعل ولا حرج) . فمن أراد أن يشدد فليشدد على نفسه ، ولا يجوز له أن يشدد على الآخرين .

د ــ التركيز على الترهيب والوعيد :

يميل كثير من الدعاة ــ للأسف الشديد ــ إلى التركيز على أسلوب الترهيب والوعيد ، وينصب حديثهم في غالب الأحيان على ما ينتظر العباد يوم القيامة من عذاب مقيم في نار جهنم ، وما ينتظرهم قبل ذلك من عذاب متواصل في القبر ، ونادرا ما يكون هناك حديث عن الجنة ونعيمها والثواب الجميل والأجر العظيم على ما يقدمه الإنسان في حياته من عمل صالح لخير الناس .

إن كثيرا من الناس الذين يذهبون إلى المسجد للصلاة في يوم الجمعة عادة ما يكونون مثقلين بهموم وأعباء الحياة طوال أيام الأسبوع ، ويودون أن يسمعوا كلاما يريح نفوسهم ويخفف عنهم ضغوط الحياة حتى يعودوا إلى بيوتهم متفائلين مقبلين علي الحياة والعمل والإنتاج والمشاركة في تقدم المجتمع . ولكن هذا المواطن المهموم إذا لم يسمع إلا التهديد والتقريع والوعيد بالعذاب المقيم فإنه يعود إلى بيته محبطا يائسا متشائما فاقدا الرغبة في العمل ، بل ربما في الحياة بصفة عامة .

والمفروض أن يركز الدعاة على الترغيب والتبشير وغرس الأمل في النفوس والاطمئنان في القلوب . فالله رحيم بعباده ، ولا يظلم ربك أحدا . وقد أرسل نبيه محمدا رحمة للعالمين ــ كما جاء في القرآن الكريم ــ وقد فتح الله باب الأمل على

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مصراعيه لكل الناس في قوله تعالى : **﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾** .

وعلى الدعاة أن يدركوا روح الدين وأحوال الناس وظروف العصر ، وأن يكونوا على وعي تام بالأسلوب الملائم لمخاطبة الناس باسم الدين الذي جاء من أجل مصلحة الناس في كل زمان ومكان .

هـ ـ النظرة المتدنية للمرأة :

من سلبيات الخطاب الديني المعاصر النظرة المتدنية للمرأة ، وهذا أمر بعيد عن تعاليم الإسلام . فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (النساء شقائق الرجال لهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ، وأشير هنا إلى مثال واحد يدل علي مدى تقدير الرسول للمرأة واحترام رأيها . فعندما خرج النبي في السنة السادسة من الهجرة معتمرا ومعه 1400 من صحابته قاصدين مكة ، رفض أهل مكة دخولهم لأدائها ، وبعد مفاوضات تم عقد صلح الحديبية والذي بمقتضاه يعودون في العام التالي لأداء العمرة . وقد عز ذلك على المسلمين لمنعهم من دخول مكة . وعندما طلب منهم النبي التحلل من العمرة تأهبا للعودة إلى المدينة لم يستجب منهم أحد لذلك . فدخل الرسول صلي الله عليه وسلم على أم سلمة وهو شديد الغضب لعدم استجابة الناس لأمره بالتحلل من العمرة ، فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم منهم أحدا وينحر ذبيحته ويحلق رأسه ، وستجدهم جميعا يفعلون ما فعلت ، فخرج الرسول صلي الله عليه وسلم وتحلل من عمرته أمامهم ففعلوا جميعا مثلما فعل ، وذلك بناء على نصيحة من زوجته السيدة أم سلمة . فالمرأة لها كيان ورأي ولها شخصية في الإسلام مثل الرجل سواء بسواء .

وإذا تطرقنا إلى قضية الميراث فسوف يقول البعض إن المرأة تأخذ نصف نصيب الرجل ، ولكن الحقيقة أن المرأة تأخذ نصف نصيب الرجل في أربع حالات

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

فقط ، وفي ثلاثين حالة أخرى ترث المرأة مثل الرجل أو أكثر من الرجل أو ترث والرجل لا يرث .

ولقد أصدرنا في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كتابا بعنوان **[حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين]** فيه تفصيل القول في مسألة الميراث على النحو المشار إليه ، لأن الآية القرآنية تشير إلى الأولاد بصفة خاصة في قوله تعالى : **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾** ولم تقل : يوصيكم الله في الوارثين بصفة عامة .

والنقطة الأخرى تتعلق بشهادة المرأة باعتبار أنها تساوي نصف شهادة الرجل بصفة عامة . وهذا أيضا كلام غير صحيح ، فالآية القرآنية التي ذكرت ذلك تحدد حالة واحدة وهي الإشهاد على الدَّيْن فقط ، فلماذا يعمم ذلك في كل الأحوال ؟ إن التعميم هنا لا يقوم علي أي أساس ولا يستند إلي أي دليل . ولكنها مجرد تقاليد وعادات لا صلة لها بالفهم الصحيح للدين . والمرأة في ذلك الزمان لم يكن لها خبرة بأمور التجارة والمال . ولكن الظروف تغيرت وأصبح هناك سيدات أعمال ينافسن الرجال . وللقاضي أن يحكم بشهادة امرأة واحدة إذا اطمأن إلي صدقها ، والحال كذلك بالنسبة للرجل.

و ــ قائمة محرمات :

من سلبيات الخطاب الديني أيضا التوسع في التحريم لدرجة تجعل من الدين قائمة طويلة من المحرمات والمنهيات . ولكن الإسلام غير ذلك تماما . فالأصل أن كل شيء مباح وحلال ، والتحريم هو الاستثناء . وليس هناك في الإسلام تحريم إلا بنص صريح .

والقرآن الكريم يستنكر موقف هؤلاء الذين يعطون لأنفسهم حق تحريم ما أحل الله في قوله تعالي : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من**

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ ، وقوله تعالي : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾** .

وقد جاء في الحديث الشريف : (**روّحوا القلوب ساعة فساعة**) أي أريحوها باللهو المباح حتى تنشط استعدادا لاستئناف العمل من جديد . فالقلوب تصابّ بالملل والسأم كما هو الشأن بالنسبة للأبدان ــ كما ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه ــ والقلوب إذا كلت عميت . إن الدين يدعو إلي الابتهاج والبشر والسرور، ويكره العبوس وتصنّع الجدية ، والنبي نفسه يقول : **(تبسمك في وجه أخيك صدقة)**.

إن علي الدعاة أن يدركوا أن التمتع بطيبات الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، والاستجمام من عناء العمل ، والترفيه المقبول عن النفس ، وغير ذلك من مباهج الحياة وخيراتها ، أمور لا تتعارض مع الدين بأي حال من الأحوال .

ز ــ رفض الحضارة الغربية :

كثيرا ما يميل الخطاب الديني إلي الرفض التام للحضارة الغربية بوصفها شرا مستطيرا وانحلالا خلقيا وتفككا أسريا .. الخ . وهنا نود أن نلفت النظر إلي بعض النقاط الهامة :

1ــ لقد قامت الحضارة الغربية علي أساس من منجزات الحضارة الإسلامية . فقد ترجم الأوروبيون في العصور الوسطى إلي اللغة اللاتينية كل ما وقع في أيديهم من مؤلفات عربية في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وغير ذلك من علوم ، واهتموا بتدريسها في جامعاتهم . وقد أدي ذلك إلي قيام حركة علمية نشطة تمثلت في عصر النهضة وامتد تأثيرها إلي العصر الحديث . وهذه حقائق تاريخية . ومن هنا أكد وزير الخارجية البريطاني السابق " روبين كوك " في محاضرة له في المركز الإسماعيلي في لندن عام 1999 أن أصول الحضارة الغربية يونانية رومانية إسلامية.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

2ــ لو كان الانحلال هو السائد في الغرب لما شهدنا هناك كل يوم تقريبا ابتكارا جديدا في المجالات المختلفة . ولماذا ننسى كل المنجزات التي نستخدمها نحن يوميا في دنيا الاتصال والمعلومات والثورة التكنولوجية . ألا يدل ذلك علي أن هناك عقولا تفكر وعلماء يبحثون وينقبون في جدية تامة ، وأن ما تنتجه عقولهم مفيد للبشرية ؟ .

3ــ أما مسألة القيم الاجتماعية السائدة هناك فلسنا مجبرين علي تقليدها . فلنا أن نأخذ منها ما يتفق مع عقيدتنا وتقاليدنا ونترك ما عدا ذلك .

أمور ينبغي مراعاتها في الخطاب الديني :

وإذا كنا قد أشرنا إلي سلبيات الخطاب الديني المعاصر في النقاط السابقة فإن هذه مجرد أمثلة وليست كل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد . وتجنب الدعاة لهذه السلبيات يعني في الوقت نفسه ضرورة مراعاة إحلال الإيجابيات المقابلة لها محلها حتى تؤتي ثمارها المرجوة في التوعية الدينية السليمة التي توقظ العقول وتحيي موات النفوس وتنعش الأرواح وتنبه الأذهان إلى ضرورة بذل أقصى الجهد في تقديم الخير لصالح الناس ، والإسهام الفعال في تقدم المجتمع .

ونظرا لضيق الوقت وضرورة إعطاء الفرصة للسادة الحاضرين للحوار نجمل فيما يلي أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في الخطاب الديني :

1 ــ مراعاة فقه الأولويات والاهتمام بمقاصد الشريعة وعدم التركيز على الشكليات .

2 ــ غرس الأمل والرحمة في النفوس بدلا من الإحباط والتشاؤم واليأس من رحمة الله .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

3 ــ التيسير على الناس وحسن معاملتهم اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام الذي امتدحه ربه بقوله : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ .

4 ــ إبراز القيم الإسلامية الدافعة لتقدم المجتمع وتطوير الحياة وبناء الحضارة امتثالا للأمر الإلهي : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ ، أى طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها .

5 ــ إبراز الوجه الإنساني والحضاري للإسلام . فالصورة المشوهة التي يعرضها الإعلام الدولي الآن للإسلام تقتضي منا جهدا كبيرا لتعديلها وتصحيح ما اشتملت عليه من أحكام مسبقة ومفاهيم خاطئة وأفكار مغلوطة .

6 ــ الاعتماد على العقل والبعد عن التقليد وتغييب العقل وضرورة احترام عقلية المواطنين ، والارتفاع بمستواهم الديني والبعد عن سرد القصص الخرافية .

7 ــ الانفتاح على الثقافات والحضارات المختلفة كما فعل مفكرونا الكبار في السابق . ونشير في هذا الصدد إلى الفيلسوف العظيم ابن رشد الذي كان يقول : إن الإطلاع على كتب الآخرين واجب شرعا ، فإن كان فيها ما يتفق مع الحق أخذنا به وشكرناهم عليه ، وإن كان فيها ما يتعارض مع الحق لم نأخذ به وحذرنا منه وعذرناهم .

8 ــ قبول الآخر : فالبشر جميعا قد خُلقوا من نفس واحدة . والكرامة التي منحها الله للإنسان لا تفرق بين بني آدم جميعا ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ . والناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح .

9 ــ **احترام التعددية** : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر إلى المدينة أقر التعددية الدينية والثقافية . فلا إكراه في الدين ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ ، لأن الاختلاف بين الناس سنة من سنن الله . ولكن هذا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الاختلاف ينبغي أن يكون منطلقا للتعاون لا منطلقا للنزاع والشقاق ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **لتعارفوا** ﴾ .

10 ــ **التسامح** : المسلم لا يكتمل إيمانه إلا إذ آمن بأنبياء الله جميعا وبما أنزل إليهم ، والذي سيفصل بين الناس يوم القيامة هو الله ، ويؤكد القرآن أن أهل الأديان إذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا فهم مقبولون عند الله : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ .

11 ــ **الفهم التكاملي للدين** : الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة ، ولا يجوز اختزال الإسلام في أي من هذه العناصر الأربعة وإهمال بقية العناصر الأخرى .

12 ــ البعد عن أسلوب التشنج والانفعال والصراخ على المنبر . فالكلمة الهادئة العاقلة التي تخاطب العقل يكون لها تأثيرها الايجابي في النفوس .

13 ــ **الاهتمام بقضايا المجتمع** : لكل مجتمع ظروفه الخاصة . وهناك العديد من القضايا الملحة في مجتمعنا مثل : قضايا تنظيم الأسرة ومحو الأمية ، وقضايا البيئة والإدمان والنظافة والنظام والحرص على المال العام ، وقضايا المرأة والتنمية الشاملة وغيرها .

14 ــ القدرة على الإجابة على أسئلة العصر ومواجهة التحديات الكبرى في عالمنا المعاصر . وهذا أمر يحتاج إلي عقلية متفتحة وثقافة شاملة وأفق واسع ووعي بمشكلات المجتمع وقضايا العصر وفقه صحيح بجوهر الدين .

إن هناك تحولات كبرى في عالمنا المعاصر ، ولن نستطيع أن نعزل أنفسنا عما يدور حولنا . ومجتمعاتنا تتأثر بشكل أو بآخر عن طريق ثورة الاتصالات والمعلومات والثورة التكنولوجية . ونحن في حاجة إلي أن ندرك أين نحن من هذا كله ؟ ، وأن نحدد لأنفسنا ماذا نريد ؟ .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

والخطاب الديني ليس بعيدا عن ذلك كله ، إنه مسئول عن الحفاظ على هوية الأمة وعقيدتها وأصولها الحضارية . ولم يعد مقبولا ولا معقولا أن يظل خطابنا الديني أسير قوالب وأطر تشكلت في عصور سابقة لم تعد تتناسب مع ما نحن فيه الآن .

ومن هنا تأتي الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني وإصلاح الفكر الديني ، والمهمة ليست سهلة ولكنها ليست مستحيلة ، وواجبنا أن نتعاون جميعا من أجل خير مجتمعنا ، وأن نبذل أقصى الجهد للنهوض به وتطويره والارتقاء به على جميع المستويات لتحقيق التنمية الشاملة لهذا المجتمع بما في ذلك التنمية على المستوى الديني .

شكرا لكم على صبركم وحسن استماعكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

جابر عصفور :

أشكر باسمكم الدكتور محمود حمدي زقزوق على هذه المحاضرة الممتعة والمفيدة والثرية إلى أبعد حد .

حامد حسن السقا (الشاعر الغنائي) :

إن الجيل الأول والثاني والثالث من ذريتي في انتظار ردكم على مداخلتي الخطيرة وسوف أكرر كلمة الخطيرة التي أشير إليها في برنامج ساخن جدا يوم 2004/6/17م الساعة 6 مساء في قناة **MBC** للمحاور محمود سعد وضيف البرنامج الأستاذ / عبد الصبور شاهين وكان الحوار حول كتاب لفضيلة الأستاذ / عبد الصبور شاهين يقول فيه إنه اكتشف وجود بشر قبل أبينا آدم وأمنا حواء ، وأن آدم له أب وأم وأن أمه كانت تقول له افعل كذا ولا تفعل كذا ويتصرف معه الأب مثلما يتصرف مع الأولاد حاليا ، ثم ظهر على شريط التلفزة الشيخ / يوسف المهدي وهو

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

يعارض هذه السقطة ، كل ذلك والمحاور يضحك بخبث وينظر نظرة رخيصة جدا للدكتور / عبد الصبور شاهين ويحدث هذا أمامنا على شاشة التلفزة ، حيث يظهر الدكتور / عبد الصبور شاهين مغمض العينين في حالة تشبه النعاس ، ثم وجدنا المحاور محمود سعد يضحك ويعطي الدكتور / عبد الصبور شاهين كوب عصير ويقول له اشرب يا أستاذ !

محمود حمدي زقزوق :

الدكتور عبد الصبور شاهين له كتاب فعلا عن آدم ، وهذا الكتاب نوقش في مجمع البحوث الإسلامية والبعض كان يرى أن فيه خروجا عن مقررات الدين ولكن الحقيقة أن هذا مجرد اجتهاد لا يخرج صاحبه من الدين على الإطلاق ، وقد تحدثنا قبل ذلك عن التسامح الإسلامي الذي وصل إلى الحد الذي قال فيه الإمام مالك وقاله من بعده الشيخ محمد عبده " إذا كان الرأي يحتمل الكفر من 99 وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمل على الإيمان وليس على الكفر " .

ومن هنا أري أن أسلوب المصادرة لمثل هذا الاجتهاد وحجب الكتاب ليس هو الأسلوب الصحيح . إن الفكر يجب أن يناقش بالفكر والحجة بالحجة والدليل بالدليل .

عمر الحديدي :

أولا وباختصار شديد أود أن أشكر الدكتور / محمود حمدي زقزق على هذا الأفق الواسع لإعطاء فكرة جميلة عن الإسلام بأسلوب جميل جدا حبذا إن وجدناه مكتوبا حتى يمكننا الحصول عليه ، في الواقع أنا أقول إن الخطاب الديني فيه قصور شديد داخليا وخارجيا ونحتاج إلى تغيير كامل في الخطاب الديني ، فالخطاب الديني ــ

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وأعتذر عن استخدام الكلمة ــ أصبح خطابا مملا ويجب أن نتحرى أن يكون خطابا موضوعيا بقدر الإمكان ، وسوف أركز على الخطاب في يوم الجمعة ، الخطاب أسبوعي وأهم الخطابات الموجودة التي يجب أن نهتم بها . خطاب يوم الجمعة للأسف أصبح قاصرا جدا وطويلا في نفس الوقت ، ونري الكثيرين يقفون خارج المسجد وخصوصا الشباب حتى يقيم الإمام الصلاة ، فالخطيب أصبح يطيل جدا في خطابه مع أن الحديث المعروف (**من أمَّ منكم فليخفف فمنهم المريض وصاحب الحاجة**) ، وفي الأسبوع الماضي كنت أصلي وقد وقع أحدهم بجواري لأن آيات القرآن التي يتلوها الإمام في الصلاة طويلة ، ولا يراعي ذلك أحد ويحسب الإمام أن هذه بطولة شديدة ويأخذ فيها ساعات وهناك أشخاص يكونون جالسين في الشمس والمطر ويضطرون ألا يدخلوا المسجد إلا للصلاة فقط دون سماع الخطبة ، فالخطاب الديني من وجهة نظري يجب أن يكون مركزا على أشياء مهمة جدا كما ذكرتم وأن يكون موضوعيا جدا وقصيرا ، فخير الكلام ما قل ودل وليس التطويل والترهيب . كذلك أثناء الخطاب الديني نكون مشغولين بأشياء أخرى ، فمثلا حين نقف أمام رئيس العمل نقف في حالة انضباط وحين نقف أمام الله نقف مستهترين ونقوم ببعض البدع غير المعقولة وهذا حرام وليس من الدين في شيء .

محمود حمدي زقزوق :

لقد أشرت إلى السلبيات في الخطاب الديني وأعترف بأن هناك بعض الدعاة يميلون إلى إطالة الخطبة إلى درجة لا يجوز السكوت عليها ، ومنذ سنوات وأنا أنبه الأئمة في جميع مساجد الجمهورية ألا تزيد خطبة الجمعة عن عشرين دقيقة ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة فلم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدى خطبة جمعة أكثر من عشر دقائق ، وكانت أطول خطبة له بسورة (ق) ، وسورة (ق)

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

في المصحف إذا قرأها المرء بتأن لن تأخذ أكثر من عشر دقائق . فهذه هي التعليمات لأئمة المساجد . وذات مرة كنت أتحدث إلى الأئمة في هذا الصدد ، فقال لي أحدهم إذا كنت قد مُنحت من ربى الفصاحة والبلاغة فلماذا لا أستخدمها تحدثا بنعمة الله : **﴿فأما بنعمة ربك فحدث ﴾** ، فقلت له يا أخي : لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح مني ومنك وأبلغ مني ومنك ومع ذلك لم يلجأ إلى ذلك ، فعشر دقائق كافية ، فالخطبة يجب أن يكون لها موضوع واحد يستوفي الإمام عناصره في هذه الدقائق ، وبذلك يخرج المواطن وقد استفاد من الخطبة . أما تشتيت ذهن المواطن بالإطالة والاستطرادات والخروج من موضوع إلى موضوع وسرد القصص الخرافية ، فهذا مرفوض تماما . وسنظل نتابع التزام الأئمة بعدم الإطالة .

متحدث لم يذكر اسمه :

سيادة الوزير ، لقد قمت بعمل قوافل للتبصير بالإسلام في بريطانيا وأنشأت موقعا على الإنترنت للرد على أي استفسار وأقمت معسكرا بأبي بكر الصديق فأين نصيب خريجي معهد الدعاة في ذلك وكذلك خطباء المكافأة ؟ .

محمود حمدي زقزوق :

الخطاب الديني كما أشرت سابقا إما داخلي أو خارجي ، فنحن لا ننسى الخطاب الخارجي أيضا ونوجه قوافل إلى أوروبا وأمريكا ، وقد ذهبت أول قافلة إلى إنجلترا في الفترة الأخيرة وقد أدت مهمتها على أكمل وجه والحمد لله ، ونعد الآن لقافلة ستذهب إلى ألمانيا وقافلة أخرى إلى فرنسا ، ونحن لا نرسل إلى هذه البلاد إلا من يجيد لغاتها ، لأننا نريد أن يكون الخطاب مباشرا حتى يمكن أن تؤدي المهمة على

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

خير وجه . ومصر من منطلق ريادتها في العالم الإسلامي بوصفها بلد الأزهر الشريف ينتظر منها المسلمون أن تتولى تصحيح ما يثار الآن في الغرب من مفاهيم خاطئة عن الإسلام بالحجة والمنطق والبرهان . والقوافل التي نرسلها تقوم بعمل لقاءات وحوارات مع الجهات التي لها تأثير في المجتمع وبخاصة الجهات الدينية والسياسية والإعلامية . ونحن نقوم بتقييم تجربة هذه القوافل وننمي الإيجابيات ونتجنب السلبيات ، وكل مرة سوف تكون أحسن من سابقتها إن شاء الله .

أما بالنسبة للدورات ، فقد قمنا في الإسكندرية بالذات بتنظيم دورتين للأئمة الذين نسميهم الأئمة الرواد ، وكانت الدورة الأولى لخمسين من الأئمة الحاصلين على شهادات بعد الليسانس سواء كانت ماجستير أو دكتوراه ، وقمنا في هذا العام أيضا بعمل دورة أخرى ، ويقوم بالتدريب أكثر من عشرين أستاذا في كافة التخصصات غير الدينية لتوسيع أفق هؤلاء الأئمة حتى يكونوا نماذج وقدوة لغيرهم من الأئمة الآخرين ، وطبعا البرنامج جاد جدا ويبدأ عند صلاة الفجر ثم التمارين الرياضية ثم الإفطار ، وفي الساعة الثامنة صباحا يكون أول لقاء أو حوار ويستمر البرنامج طوال اليوم ، ويشتمل على تدريب مكثف في اللغة الأجنبية والكمبيوتر وتشغيل البرامج إلى آخره ، فهذه تجربة مفيدة جدا وإن شاء الله نستمر فيها . أما عن خطباء المكافأة فهم خريجو الجامعات المصرية الذين نوفر لهم دراسة لمدة عامين في مراكز الثقافة الإسلامية ويتخرجون بعد ذلك مؤهلين ، وأهم شيء أن تكون لديهم رغبة شديدة في التزود من العلوم الدينية .

ونستعين ببعض الخريجين من هذه المراكز في سد بعض العجز في بعض مساجد وزارة الأوقاف ولا نستطيع حاليا أن نضم هؤلاء للدورات المشار إليها ، وللقوافل التي نرسلها إلى الخارج . وربما تأتى الفرصة إن شاء الله في المستقبل .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

محمد السيد مسعود (مدرس ثانوي) :

أود أن أحييكم على فكرة توفير كمبيوتر لكل مسجد ويوجد هذا الكمبيوتر ومعه **CDS** الخاصة بأهم الكتب الدينية وأرى أن هذا التصرف مهم جدا ومفيد .

محمد وهبـــي :

ما حقيقة ما يقال عن خطة حكومية تهدف إلى وقف بناء المعاهد الأزهرية وإلحاق المعاهد القائمة بكلية التربية مما يعنى إلغاء التعليم الديني في مصر تمهيدا لإلغاء جامعة الأزهر الشريف وتحويلها إلى جامعة لا علاقة لها بتدريس المواد الدينية خاصة أن هناك قرارا صادرا من رئيس الحكومة في اجتماعه مع مجلس المحافظين في شهر مايو الماضي بإجراءات تقضى بمنع إقامة أي مساجد أهلية وإلغاء كافة الزوايا وإزالة المساجد التي لن تحصل على ترخيص بعد ، ووضع مسألة إقامة المساجد في يد وزارة الأوقاف دون سواها ويجرى تنفيذ هذا بقرار أمريكي صرف على أجندة ما يسمى بالإصلاح في البلاد العربية والإسلامية ، وأسأل ما موقفكم من ذلك مع العلم أنه قد بدأ تنفيذ القرار السالف الذكر ، أقصد القرار الأمريكي ومما يؤكد ذلك التحركات في كافة المحافظات واستدعاء وتحذيرات لكل من بدأ في بناء معهد أزهري أو مسجد أهلي أو حتى زاوية لإقامة الصلاة ، وكانت تحذيرات شديدة وتبدأ بالقبض وتنتهي بالحصول على تعهد بالهدم والإزالة وإذا لم يحدث فقرار الاعتقال جاهز ، ثم ما حقيقة الإشاعات عن نوايا جادة لإلغاء مادة التربية الدينية من المدارس مع بداية العام المقبل واستبدالها بمادة تسمي الأخلاق واستبعاد الدين من أي دور في المجتمع ، ونحن قد قرأنا ذلك .

محمود حمدي زقزوق :

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

أريد أن أقول أن هذه كلها إشاعات ، فأنا شخصيا كنت حاضرا في مجلس المحافظين الذي كان يناقش فيه هذا الموضوع .

وأود أن أشير إلى أن مصر بأكملها كان فيها في نهاية الخمسينيات أي في النصف الأول من القرن الماضي عشرة معاهد أزهرية فقط ، وثلاث كليات . وهى كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية ، وكان بكل كلية حوالي ثلاثمائة طالب إلى خمسمائة ، ومع ذلك كان يتخرج منها علماء جيدون جدا ، ولم يكن هناك أي خلل . واليوم يوجد لدينا ستة آلاف معهد أزهري ، أي أن العدد قد قفز من عشرة معاهد إلى ستة آلاف معهد تضم مليونا وثلاثة أرباع المليون من التلاميذ والتلميذات ، بالإضافة إلى سبعين كلية أزهرية من الإسكندرية إلى أسوان ، وآخر مسابقة قمنا بإجرائها لاختيار أئمة للمساجد تقدم إليها 18300 شخص ، نجح منهم ألفان فقط ، فأين تذهب بقية هذه الأعداد ؟ إن لدينا تخمة في أعداد الخريجين دون داع .

وبصرف النظر عن ذلك ، فإنه لم يصدر قرار بإلغاء المعاهد الأزهرية أو بناء المساجد . إن المدارس التي تتبع وزارة التربية والتعليم لها نموذج معين ومواصفات محددة ، وهذا لا يتم في المعاهد الأزهرية نظرا لأن الناس الذين يقومون بالجهود الذاتية ببناء المعاهد الأزهرية والتي يتم ضمها بعد ذلك إلى التعليم الأزهري كان هدفهم الأول هو ضمان تعيين عدد كبير جدا من العمال والإداريين والمدرسين قد يصل عددهم إلى خمسين فردا أو أكثر لكل معهد . وهذه المباني لا تتحقق فيها المواصفات الضرورية ، والعاملون فيها ليس لديهم الخبرات التربوية اللازمة . فماذا ننتظر من التلاميذ الذين يتخرجون من هذه المعاهد ؟ والأمر في بناء المساجد كان يسير أيضا على هذا النحو بهدف ضمان تعيين العاملين في هذه المساجد دون التفات لضرورة توفر شروط ومواصفات معينة في بناء المساجد .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

إن الدولة مسئولة مسئولية كاملة عن عملية التنظيم والانضباط في حقل التعليم ، ولذلك لابد أن يكون هناك ضوابط ومعايير لبناء المساجد وبناء المعاهد الأزهرية . وأنا شخصيا عرضت خطة تتضمن شروط ومواصفات لبناء المساجد علي مجلس الوزراء ووافق عليها في أكتوبر سنة 2001م. ومن بين هذه الشروط أن تكون هناك مسافة خمسمائة متر بين المسجد المراد بناؤه وبين أقرب مسجد . وهذه المسافة بالنسبة للمواطن لا تتعدى 250 مترا فقط .

وهذه ضوابط ومعايير موضوعية وليس فيها علي الإطلاق أي شيء ضد الدين ولا ضد التعليم الديني ولم تصدر قرارات بهدم المعاهد الأزهرية أو المساجد . فهذه كلها إشاعات مغرضة لا أساس لها من الصحة علي الإطلاق . وقد نوقش هذا الموضوع في مجمع البحوث الإسلامية منذ أسبوع واحد ، وقال شيخ الأزهر المسئول عن المعاهد الأزهرية إنه لم تصل إليه أي قرارات في هذا الشأن ، ووزير التنمية المحلية أصدر بيانا نشر أمس أشار فيه إلى أن هذا الكلام ليس له أساس من الصحة ، وكان حاضرا أيضا في مجلس المحافظين . فلا يجوز لنا أن نسير وراء الشائعات .

لقد زارني السفير الأمريكي وقال : إننا قمنا بعمل تسهيلات للأئمة الذين أرسلتموهم في شهر رمضان الماضي ، ووعد بالقيام بتسهيلات أكثر في شهر رمضان التالي : فذكرت له أن الوزارة تنوي إرسال قوافل من المفكرين والعلماء إلي 6 ولايات أمريكية ، فقال إننا علي أتم استعداد لتسهيل هذه المهمة ، فخرجت علينا بعض الجرائد التي تروج الإشاعات تقول إن السفير الأمريكي قابل وزير الأوقاف كي يقوم بتلقينه ماذا يقول الأئمة في المساجد ! وأنا أؤكد لكم بعد مرور حوالي 8 سنوات علي وجودي في وزارة الأوقاف إنه لم يحدث في يوم من الأيام أن جاءت لي أي تعليمات من أي جهة من الجهات . لقد أرسلنا دعاة إلي أمريكا في رمضان

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الماضي ، ولكن في العام قبل الماضي لم نرسل أحدا ، لأننا خشينا أن تساء معاملتهم .إننا حريصون علي أبنائنا وعلي كرامتهم .

هدى فرج (صحفية من مجلة المصور) :

ألا تري أن التجديد في الخطاب الديني يتطلب التغيير في الشخصيات الإعلامية التي تتحدث عن الدين من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة وينطبق ذلك علي البرامج التي تؤدي للتثقيف الديني من خلال التليفزيون ؟

قرأنا في بعض الصحف أن هناك رغبة في إطلاق قمر إسلامي من مصر ليشمل عددا من القنوات الفضائية ، فما أبعاد هذا الموضوع ؟ هل تري أن هذا سوف يساعد علي نقل صورة الإسلام إلي العالم ؟ وما دور هذا في تجديد الخطاب الديني ؟

محمود حمدي زقزوق :

فيما يتعلق بالخطاب الديني فهو لا يقتصر علي ما يقال في المساجد من خطب ودروس دينية ولكن ينطبق علي كل ما يقال عن الدين في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة ، وبالتالي فكل هذا خطاب ديني حتى علي الإنترنت . فإذا كان هناك تجديد للخطاب الديني أو إصلاح للخطاب الديني فينبغي أن يشمل ذلك جميع البرامج الدينية التي تؤدي في جميع وسائل الإعلام .

أما فيما يتعلق بالقمر الصناعي الإسلامي ، فهناك منذ بعض الوقت رغبة لإنشاء قناة فضائية تقوم بالتعريف بالإسلام في الخارج باللغة الإنجليزية وترد علي الشبهات وتلبي متطلبات الجاليات الإسلامية في الخارج ، ونحن نحيي هذه الرغبة ونؤيدها . ولكن ذلك يحتاج ليس فقط إلي التمويل المالي وإنما بالدرجة الأولى يحتاج إلي كوادر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

إعلامية مدربة لها باع في المجال الإسلامي وقادرة علي تقديم برامج إسلامية هادفة وذلك بالإضافة إلي القدرة علي الاستمرارية .

ونحن لن نتأخر عن المساهمة في إنشاء هذه القناة الفضائية حينما تتوفر الإمكانات المادية من ناحية وتتوفر أيضا الكوادر الإعلامية الدينية المدربة التي تستطيع أن تقدم البرامج المطلوبة .

سعيد حسن :

نرجو تفعيل قانون 180 لعام55 وقانون 18 لعام 58 بحل الأوقاف المصرية الأهلية والخيرية ، ومتى سيتم تفعيل وتنفيذ القرارات والقوانين الخاصة بمكبرات الصوت الضخمة المزعجة بالمساجد المصرية ؟ متى تقوم وزارة الأوقاف الموقرة بمواجهة المحافل المنتشرة في مصر ، المحافل الماسونية والروتاري والبهائية ومتى تواجهها بحزم ؟ هناك إقليم إسلامي يئن في الصين اسمه إقليم (سينك يانج) ، هذا الإقليم به 50 مليون مسلم يئنون ويطلبون التواجد الإسلامي مع العالم الإسلامي ، مسلمو أمريكا يعيشون فرصة ذهبية للتعريف بالإسلام . كما أن هناك حج منتشر علي نفقة الدولة وهذا حرام وهناك فتوى تفيد بذلك ومازال متزايدا . هناك 3500 شخص أدوا الفريضة علي حساب وزارة الخارجية المصرية مجانا . نرجو أن يكون إحياء الخطاب الديني للسادة الأفاضل خطباء المساجد وأن يوجه لهم ذلك وإنني أؤيد الدكتور الحديدي فيما قاله ، لماذا التركيز فقط علي الإمام محمد عبده وقبله أئمة عظام وهم كثيرون ومنسيون مثل العز بن السلام وابن تيمية والإمام القويسي ؟

محمود حمدي زقزوق :

بالنسبة لتفعيل قانون حل الوقف ، أود أن أشير إلي أن الأوقاف التي تم حلها هي الأوقاف الأهلية فقط ، أما الأوقاف الخيرية فلا يستطيع أحد أن يقوم بحلها لأنها صدقة جارية إلي قيام الساعة . وهناك مشاكل لا تزال قائمة أمام لجان

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

تسمي بلجان القسمة وهي لا تتبع وزارة الأوقاف . إنها بمثابة محاكم يتم تعيين المستشارين فيها من وزارة العدل . وهناك قضايا أمام لجان القسمة منذ سنوات كثيرة ، وكثيرا ما تقوم لجان القسمة بتكليف خبراء للبحث والدراسة ، والخبراء يأخذون وقتا طويلا حتى يضعوا تقاريرهم . ونحن بصدد تعديل بعض القوانين الخاصة بلجان القسمة ، حتى يمكن أن تكون الإجراءات سهلة ولا تستغرق وقتا طويلا .

أما فيما يتعلق بمكبرات الصوت ، فهناك تنبيه لكل مديريات الأوقاف علي مستوي الجمهورية بضرورة إزالة مكبرات الصوت التي تتسبب في إزعاج الناس . وقد شكا لي أحد الأشخاص متضررا من مكبر الصوت في زاوية تحت المنزل الذي يسكن فيه في أحد أحياء القاهرة ، فتمت إزالة الميكرفون . وبعد ثلاثة أسابيع جاءني يشكو من أن الأهالي قد اشتروا مكبر صوت آخر بدلا من مكبر الصوت الذي تم رفعه . إن هذه المسألة تحتاج إلي مساعدة الوزارة من جانب المواطنين لفرض الانضباط . ولكن يبدو أن البعض لا يعجبه النظام ولا الانضباط . وهذا شيء مؤسف بطبيعة الحال . ولكن الوزارة ــ عن طريق مديريات الأوقاف ــ لن تتخلى عن مسئوليتها في الحفاظ علي المساجد ورعايتها والحفاظ علي النظام فيها ومنع الضرر الواقع علي المواطنين من مكبرات الصوت فيها .

أما عن مواجهة المحافل الماسونية والروتارية والبهائية ، فبعض هذه المحافل كان موجودا منذ القرن التاسع عشر وليس فقط منذ القرن العشرين ، ولكننا لا نريد أن نضخم خطورتها لدرجة أن نعطيها شهرة أكبر ونوجه الناس إليها دون أن نشعر ، وبالتالي نقوم بعمل دعاية لها أكثر . وقد دعيت منذ وقت قريب من أحد نوادي الروتاري في مصر الجديدة لإلقاء محاضرة عن الخطاب الديني ، واطلعت علي ما يقومون به من أعمال خيرية للمجتمع ، ونحن نحسن الظن بالقائمين عليها وهم لا يعملون في السر ولكن في العلن ، وهذه جمعيات مسجلة ومعروفة وأنشطتها معروفة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ولذلك لا يجوز أن نخلط نوادي الروتاري بالماسونية والبهائية المحظورتان في مصر.

أما عن إقليم (سنك يانج) في الصين ، فقد زرت هذا الإقليم في عام 1999 وعاصمته (أورمونتشي) وكان يبني فيها مجمع إسلامي كبير وقلت لهم إننا مستعدون للمساعدة في تقديم مطبوعات وأئمة وأي مساعدات أخري . فنحن حريصون علي أن نوثق علاقتنا ــ كوزارة أوقاف ــ بالصين ومسلميها في إطار العلاقات المتميزة بين مصر والصين ، وقد زارنا منذ سبع سنوات وزير شئون القوميات (وهناك حوالي 58 قومية) وكان الوزير حينذاك مسلما هو / إسماعيل أحمد ــ وهو الآن بدرجة نائب رئيس وزراء ــ وتتابعت بعد ذلك زيارات المسئولين الصينيين ، وكان عندي في الشهر الماضي وفد صيني من الجمعية الإسلامية الصينية . وسوف يأتي وفد آخر الشهر القادم ، ونحن حريصون علي أن نستفيد من هذه الاتصالات بالنسبة للمسلمين الموجودين في إقليم (سينك يانج) وحين ذهبت إلي الصين أصر السفير المصري حينذاك أن يشتمل برنامج الزيارة علي أن ألقي محاضرة في الجمعية الإسلامية الصينية الموجودة في بكين عن الإسلام في القرن الحادي والعشرين ، وألقيت المحاضرة دون عوائق . وعن طريق العلاقات وتوثيقها يمكن أن نكسب الكثير من أجل المسلمين المقيمين هناك .

أما عن مسلمي أمريكا وأن لديهم فرصة كبيرة للتعريف بالإسلام فهذا صحيح ، وقد زارني في وزارة الأوقاف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في واشنطن (إدوارد ووكر) وقد كان سفيرا سابقا لأمريكا في مصر وهو رجل معتدل ، وقال لي إنه بعد أحداث 11 سبتمبر حدث تطور كبير جدا في الاهتمام بالتعرف علي الإسلام ، وأشار إلي أن للمركز موقعا علي شبكة الإنترنت به تعريف موجز بالإسلام ، وأن زوار هذا الموقع كانوا حوالي 4000 زائر أسبوعيا قبل 11 سبتمبر 2001م ، وبعد هذه

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الأحداث ارتفع عدد الزوار إلي تسعين ألفا أسبوعيا ، وأقبل الناس علي شراء الكتب عن الإسلام للتعرف عليه ، وهذا يعني أن المسلمين في أمريكا لديهم فرصة كبيرة لتعريف غير المسلمين بالإسلام بالأسلوب الذي يتفق مع عقلية المواطنين هناك .

أما الحج على نفقة الدولة ، فلا يوجد شيء اسمه الحج على نفقة الدولة ، فهناك بعثة رسمية للحج ، وأنا شخصيا كنت رئيسا لبعثة الحج لمدة خمس سنوات ، وتضم هذه البعثة حوالي ثلاثين فردا . ومهمة هذه البعثة الإشراف والرعاية للحجاج المصريين الذين يصل عددهم إلى سبعين ألفا . وتبذل هذه البعثة جهودا مضنية من أجل رعاية جميع الحجاج المصريين وحل ما يعترضهم من مشاكل . ومن الطبيعي أن هذه مهمة رسمية . ومن هنا تتكفل الدولة بنفقات هذه البعثة .

وهناك بعثة حج لوزارة الأوقاف في حدود مائة إلى مائة وثلاثين فردا ، يتم اختيارهم من العاملين في الأوقاف بالدرجة الأولى ممن لا يستطيعون الحج على نفقتهم . ويتم الإنفاق عليهم في رحلة الحج من مال الوقف الخيري تنفيذا لشروط الواقفين الذين أوصوا في وقفياتهم بمساعدة غير القادرين على الحج والعمرة ، ولا تتحمل ميزانية الدولة أي أعباء لهذه البعثة .

أما البعثة الإشرافية لوزارة الداخلية لرعاية حجاج القرعة فنفقاتها محملة بطبيعة الحال على حج القرعة وليس من ميزانية الدولة . وتبذل هذه البعثة جهودا جبارة في رعاية حجاج القرعة رعاية تامة .

وقد رأيت بعض أصحاب الرتب العالية هناك يقومون بمساعدة الحجاج حتى في حمل الحقائب ، ولا تستطيع أن تفرق بين اللواء والعميد والنقيب ، فكلهم يرتدى الجلباب ، ويبذل قصارى جهده في توفير كل أسباب الراحة والتيسير للحجاج . وهناك بالإضافة إلى ذلك بعثة طبية من وزارة الصحة تسهر على صحة جميع الحجاج المصريين . ومن الطبيعي أن تتحمل وزارة الصحة نفقات سفرهم وإقامتهم 00 الخ .

ومن ذلك يتضح أنه لا يوجد حج على نفقة الدولة ، ولكن توجد بعثات إشرافية تقوم كل منها بمهمة رسمية محددة للإشراف على الحجاج المصريين ورعايتهم وتقديم الخدمات والتسهيلات لهم .

أما الشق الأخير من السؤال بشأن التركيز على الشيخ محمد عبده فيرجع ذلك إلى أن ما كان ينادي به الشيخ محمد عبده من إصلاح للفكر الديني لا يزال قضية قائمة لدينا حتى الآن . فكلامه عن التقليد والمصادر السيئة للتثقيف ، والبحث في كتب الفقه القديمة عن فتاوى لأشياء معاصرة ، لا يزال تشخيصا لأوضاع قائمة في مجتمعاتنا وكأنه لا يزال بيننا يحلل قضايانا ويشخص أمراضنا الفكرية ويقترح العلاج . ولكن ذلك لا يعني تجاهل العديد من علمائنا الأفذاذ وأئمتنا الكبار على مدى التاريخ الإسلامي .

منى حجاج (أستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية ومنسق لجنة الجغرافيا والتاريخ والآثار بمكتبة الإسكندرية) :

نريد من سيادتكم قولا واضحا وقاطعا في قضية حجاب المرأة .

محمود حمدي زقزوق :

الإسلام لا يوجد فيه شيء يسمى زيا إسلاميا لا للرجل ولا للمرأة ، فهذا مصطلح تجاري تقوم بإطلاقه بعض محلات الأزياء لدينا . والمطلوب إسلاميا هو الاحتشام للرجل والمرأة على السواء . ولا توجد لذلك مواصفات معينة ، وكل مسلم مسئول عن نفسه ، فلا يوجد في الإسلام إجبار على شيء حتى في الإيمان ذاته : ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ . والإرغام في الأمور الدينية يولد منافقين ، والإسلام يكره النفاق والمنافقين ، فالاقتناع هو الأساس ، والنبي صلى الله عليه وسلم

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

يقول : (**كل ما شئت والبس ما شئت**) وذلك في حدود الاحتشام والآداب المرعية بطبيعة الحال . وهناك بعض الأحاديث النبوية في هذا الصدد تتحدث عن الاقتصار على كشف الوجه والكفين بالنسبة للمرأة . والله وحده هو الذي سيحاسب الناس يوم القيامة على ما فعلوا ، إن خيرا فجزاؤهم خير ، وإن شرا فجزاؤهم شر . وكما جاء في الحديث الشريف : (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) .

متحدث لم يذكر اسمه :

هل الغناء والموسيقى والتمثيل حرام أم حلال ؟

محمود حمدي زقزوق :

هرم الأولويات عندنا مقلوب للأسف الشديد ، وقد أصبحت الهامشيات والشكليات هي الأساس ، أما القضايا المصيرية للأمة الإسلامية وعلى رأسها قضية التخلف ، فهذا أمر غير مطروح .

وردا على السؤال فيما يتعلق بالغناء أشير في هذا الصدد إلى حديث رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها : (أنها زفّت جارية يتيمة كانت في حجرها لرجل من الأنصار ، فدخل رسول الله ولم يسمع الغناء . فقال : يا عائشة ألا بعثت معها من يغني فإن الأنصار قوم يحبون الغناء أو يحبون الغزل ، فلو بعثتم معها من يقول :

أتيناكم أتيناكـــــم فحيونا نحييكـــــم
فلولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكـــم
ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكـــم

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يرفض الغناء على الإطلاق . وما دامت الكلمة عفيفة واللحن جميلا والصوت جميلا أيضا ، فلا حرج شرعا في ذلك على الإطلاق . وقد كان الشيخ الغزالي رحمه الله يستمع إلى غناء أم كلثوم ، وقد سمعته يقول : من ذا الذي يجرؤ على القول بأن غناءها حرام عندما تغني وتقول : (الدين يسر ، والخلافة بيعة ، والأمر شورى والحقوق قضاء) ؟

ولماذا نجعل من الدين قائمة من المحرمات ؟

إن الإسلام دين يحب الجمال في كل شيء . والحديث النبوي الشريف يقول : (**إن الله جميل يحب الجمال**) . والدين لا يصادر العواطف ولا يصادم الوجدانيات . ومن المعروف أن الموسيقى الراقية من شأنها أن ترقق العواطف وترهف الأحاسيس وتسمو بالوجدان .

أما التمثيل فمادام هادفا ويضع قضايا المجتمع ومصالح الناس على رأس أولوياته فلا حرج فيه . وهناك قاعدة عامة تنطبق على كل الفنون كان يرددها الشيخ الغزالي أيضا تقول : " **حَسَنُه حسن وقبيحه قبيح** " ، فكل ما يدعو إلى الفضائل وإلى الإصلاح والتهذيب فمرحبا به ، وكل ما يدعو إلى الفجور فهو بطبيعة الحال مرفوض. إن الدين ليس عدوا للحياة ولا للترويح عن النفس ، ولكن الدين مع الترويح عن النفس بأي وسيلة مادامت مقبولة أخلاقيا .

ماركوس عياد :

أنا كمواطن قبطي أؤمن بأن التعصب ليس له دين وكم سعدت بفيلم (بحب السيما) برغم ما سببه من جدل ، فلابد للفن الذي هو مرآة المجتمع أن يسلط الضوء على العيوب داخل المجتمع ، والأقباط جزء منه ، ولكنني أريد أن أركز على نقطة تخصنا نحن الأقباط ، فالديانة المسيحية بالنسبة لأي مواطن مسلم تعتبر لغزا محيرا ، وعندما

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

أتجاذب الحديث مع أي مواطن مسلم أجده يسألني أسئلة غريبة ، كيف تعبدون ثلاثة آلهة ؟ لماذا حرفتم إنجيل برنابا ؟ أين الإنجيل الأصلي الذي حرفتموه ؟ كيف للقسيس الذي في الكنيسة أن يغفر الخطايا ؟ ومصدر هذه المعلومات المغلوطة هو الإعلام وأئمة المساجد ، وللأسف الشديد لا نجد أية مساحة إعلامية نستطيع أن نوضح بها لإخواننا المسلمين مفاهيمنا الصحيحة ، وكثيرون بسبب هذه المغالطات يتهموننا بالكفر والضلال ، أعتقد أن في عناصر تجديد الخطاب الديني لابد أن يحرص الأئمة على تقديم صورة متسامحة وصحيحة عن باقي الأديان .

محمود حمدي زقزوق :

أولا أنا ذكرت الآية القرآنية التي تتحدث عن المسلمين واليهود والنصارى والصابئين وقلت إن هذه الآية القرآنية تطلب منهم ثلاثة أشياء فقط بدون تفاصيل ، الإيمان بالله ، الإيمان بالدار الآخرة والعمل الصالح ، وتقول لمن يستوفي ذلك : **﴿ لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** وهذا هو الموقف الإسلامي الصحيح . فالقرآن الكريم تحدث عن المسيحيين وقال إنهم أقرب الناس مودة للمسلمين : **﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾** ، فهذا قول القرآن الذي يوجد به سورة كاملة عن مريم عليها السلام . والقرآن الكريم يتحدث عن عيسى عليه السلام ويقول إنه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وروح منه .

ونحن المسلمين مطالبون إسلاميا بأن نؤمن بموسى وعيسى ونؤمن بما أنزل عليهما من التوراة والإنجيل ، فهذا جزء من إيمان المسلم ، لا يصح إيمانه بدونه . والقرآن الكريم يقول : **﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾** ، إن القرآن في منتهى التسامح في هذا الصدد ، وبالتالي فإن الديانة المسيحية بالنسبة للمسلم ليست لغزا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

محيرا ، فالإسلام لم يطلب مني أن أناقش المسيحي وأجادله في جزئيات وتفاصيل دينه ، والحوار بين المسلمين والمسيحيين يضرب بجذوره في تاريخ الإسلام .

وأول من أجرى حوارا مع المسيحيين كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده في المدينة عندما قدم إليه وفد من نصارى نجران وكان يرأسه أسقفهم أبو الحارث ، وقد دخل الوفد إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي البداية قاموا بعمل استفز بعض الصحابة ، إذ ذهب هذا الوفد إلى ركن من المسجد وبدءوا يصلون صلاتهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته " **اتركوهم حتى ينتهوا من صلاتهم** " ، وبعد أن أتموا صلاتهم جرى حوار هادئ بين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الوفد ، فقد عرضوا على النبي عليه الصلاة والسلام عقيدتهم ، كما عرض النبي عليهم العقيدة الإسلامية ، وعاد الوفد بعد ذلك إلى بلاده دون أي حساسيات أو أي شقاق أو نزاع .

فالقرآن الكريم هو أول من أطلق الدعوة إلى الحوار بين الأديان في قوله تعالى : **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾** ، كما رسم القرآن منهج الحوار في قوله تعالي : **﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾** ، فليس مطلوبا من المسلم أن يجادل المسيحي في تفاصيل دينه ويتهمه بالكفر ، فهذا غير وارد إسلاميا على الإطلاق ، كما أنه ليس من مصلحة المسلمين ولا المسيحيين في المجتمع الواحد . ومن منطلق خبرتي الشخصية أقول : إنني عندما كنت طفلا كنت أسمع أذان المؤذن وأسمع أيضا جرس الكنيسة ، ولم أكن أجد في ذلك أي تنافر على الإطلاق ، وهذا أمر قد يحدث عند البعض ولا يحدث عند البعض الآخر ، ولكني أسمع فيه سيمفونية وطنية ليس فيها أي نشاز ، والنغمة النشاز تتمثل في هؤلاء الذين يدقون الإسفين بين المسلمين والمسيحيين في المجتمع الواحد . وهنا أريد أن أقول إننا جميعا مصريون ، بعضنا يصلي في الكنيسة والبعض الآخر يصلي في المسجد ، وهذه

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مسألة شخصية بحتة . وكلنا مصريون نسعى لتقدم بلادنا وهذا هو الهدف الوحيد الذي نتطلع إليه جميعا ، ولكل شخص حرية التعبد بالطريقة التي يراها دون وجود أي تدخل من هذا الجانب أو ذاك .

أسماء مصطفى عمر :

ما هو رأيكم في حصول بعض الإخوة المسيحيين على شهادات دراسية في علوم الدين الإسلامي وكيف نستطيع استغلاله للدفاع عن الدين الإسلامي وحوار الأديان ؟

محمود حمدي زقزوق :

أولا العلم مشاع للجميع ولا حظر على أن يتعلم أي شخص ما يريد ، فأنا شخصيا كنت أدرس الفلسفة في جامعة ميونيخ بألمانيا ، وكان يجب علىّ أن أختار مادتين فرعيتين غير المادة الأساسية ، فاخترت دراسات العهد القديم كمادة إضافية في كلية اللاهوت مع العلم بأن دراستي الأساسية في كلية الفلسفة ، والمستشرقون في الغرب يدرسون الإسلام وتاريخ الإسلام وحضارته . ولكننا في عالمنا العربي الإسلامي لم نتعود على دراسة شخص غير مسلم للإسلام وشريعته ، وإن كانت هناك مادة الشريعة الإسلامية في كليات الحقوق يدرسها المسلم وغير المسلم . وقد أشرفت على رسالة دكتوراه للدكتور نبيل لوقا بباوي في الشريعة الإسلامية في كلية الدراسات العليا في أكاديمية الشرطة عن (**حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية**) وهذا موضوع في صميم الشريعة الإسلامية ، ونوقشت الرسالة منذ أسبوعين . وقد أشرت أثناء المناقشة إلى أن هذه الدراسات قد تكون حافزا لباحثين آخرين من غير المسلمين لدراسة قضايا إسلامية أخرى ، وهذا أمر يمكن أن يساعد على تعميم الفهم المتبادل بين المسلمين والمسيحيين كما أنه يقوم

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

بالتقريب بينهم . وقد أثبت الباحث في هذه الرسالة أشياء في غاية الأهمية ، ولو قام بكتابة هذه الرسالة مسلم فلن تكتب بطريقة أخرى ، فهذا فيه خير للجانبين وتقريب لوجهات النظر بينهما . إن باب العلم مفتوح للجميع . ومن هنا فنحن نحيي ونقدر كل من يسعى لدراسة قضايا الإسلام والمسلمين دراسة علمية موضوعية . ولا يجوز أن يكون في ذلك أي حساسيات .

محمد ريان :

هل توافقون على إقامة حزب سياسي على أساس ديني ؟

محمود حمدي زقزوق :

أنا دائما مع مصلحة المجتمع ، وقد سبق أن قلت إن الدين قد جاء لمصلحة الناس ولسعادتهم في دنياهم وأخراهم . والسؤال هو : هل من مصلحة المجتمع أن يكون هناك حزب قائم على أساس ديني أم لا ؟ إن كل الشواهد تقول : إنه ليس من مصلحة المجتمع إقامة حزب على أساس ديني ، فنحن مسلمون ، وعندما تسمي مجموعة معينة نفسها مسلمين فماذا عني وعنك وعن الناس الآخرين الذين لم ينضموا إلى الحزب القائم على أساس ديني ؟ هل هذا معناه أننا لسنا مسلمين ؟ إن تكوين أحزاب سياسية على أساس ديني سوف يعمل على تعميق أسباب الخلاف والفرقة في المجتمع ، وهذا بالقطع ليس في مصلحة المجتمع . إن هناك أحزابا سياسية مختلفة ، وكل من لديه اهتمامات دينية يمكنه أن ينضم إلى هذا الحزب أو ذاك ، وهناك لجان دينية داخل كل حزب ، فمن يريد أن يكون له نشاط ديني داخل حزب سياسي فالطريق

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مفتوح وليس هناك حظر على ذلك على الإطلاق ، فالأحزاب السياسية تقوم بهذا الدور .

* * *